الاهداء

إلى ارواح جميع الشرفاء الاحرار

إلى روح الشهيد ابو بكر يونس جابر

اهدي هذا الجهد المتواضع

د. محمد سعيد القشاط

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمـة

عرفت الفريق ابو بكر يونس جابر في بداية الثورة 1969 كما عرفت بعض الاعضاء الذين لم اعرفهم في السابق.

وبالرغم من ان ابو بكر يونس جابر كان أحد اعضاء الحركة الكشفية التي كنت أحد قادتها. إلا انني لم اتذكره. أو أنني لم التق معه.

في بداية الثورة كانت الصورة الطاغية على المشهد هي صورة العقيد معمر القذافي.

وكنا في الاعلام نلتقي مع العقيد. او بالاصح يلتقي بنا. ويحدثنا عما يجب فعله ويوضح لنا اهداف الثورة. ومبادئها. وما يجب ان يتم التعاطي معه من احداث قائمة.

وعقدت ندوة الفكر الثوري. واستمرت لعدة أيام. وكنت مكلفا باصدار جريدة تغطي اخبار هذه الندوة. اسميناها (اخبار المؤتمر)

وكان كل اعضاء مجلس قيادة الثورة أو اغلبهم يجلسون على المنصّة لادارة الحوار.

كان ابو بكر يونس جابر قليل الكلام وكان اكثر المتكلمين العقيد القذافي. وعبد السلام جلود. وبشير هوادى.

واذكر انني اقترحت اقتراحا. أقول فيه ان الجيش لا عمل له. ويستمر الشعب يصرف على الجنود انتظارا لحرب قد لا تقع. ورأيت ان يتم تشغيل الجيش في فترة السلام لبناء البلد. وضربت مثلا بالجزائر اذ ان جيشها يقوم بتشجير مساحة كبيرة من الارض

بعرض 20 كيلو متر. ومن الحدود الليبية للحدود المغربية. يسمونها الحزام الأخضر.

واستاء ابو بكر من اقتراحي وفى الاستراحه بالفندق قال لي ان الجنود والضباط مغتاظين منك. وعندما تأتي للتدريب سيتعبونك.

قلت له. ولو انهم زحفوني من طرابلس إلى بنغازي هل يفيد الوطن شيئا.

وكنت التقي بالعميد ابو بكر يونس جابر في هيئة قيادة الاركان بخصوص حركات التحرير وكان رجلا فاضلا. دمث الاخلاق. كريما لا يبخل بشئ على حركات التحرير التي كانت تغص بها الساحة الليبية. واذكر انه عندما قامت مؤامرة المحيشي. زحفت القبائل على العاصمة مؤيدة مجلس قيادة الثورة وتعلن انها ضد المؤامرة.

وجئت ضمن من جاء مع قبيلة الصيعان. والتي هي قبيلتي.. واستقبلونا في باب العزيزية. وطلب مني الاخ العقيد أن ألقى كلمة في الحشد. فرفضت معتذرا له. وقلت: لو انهم يريدون كلامي لبقوا في بلدانهم وانا اكلمهم هناك. ولكنهم يريدون ان يسمعوا منك انت.

فكلف ابو بكر يونس جابر بان يلقي كلمة في الحشد.

تكلم ابو بكر بما يجب ان يقال. وكان في لسانه عجمه افريقية. ربما ورثها من صغره عندما كان في تشاد وانتقلت رئاسة الاركان إلى الجفره. وابتعد عنا ابو بكر. ومن هناك ادار حرب تشاد. الحرب التي قامت فيها ليبيا بدعم حركة تحرير تشاد (فارولينا).

كما قام بدعم أوغندة. والكثير من الحركات التحرير في افريقيا. وآسيا. وامريكا الجنوبية.

وتم تعييني سفيرا لليبيا في السعودية بعد ان تدخلت السعودية. وجنوب افريقيا لانهاء مشكلة (لوكربي)

اصبحت العلاقات في غاية الانسجام. ووجدت من السعوديين كل تعاون على جميع المستويات إلى ان حدث الشرخ في مؤتمر القمة العربي (بشرم الشيخ) ووقعت

الملاسنه من الامير عبد الله بن عبد العزيز. والتي لم يكن لها أي مبرر. كما اختلفت وجهات النظر في قضية العراق. التي يرى العقيد القذافي حل المشكلة عربيا. وتدخل قوات عربية لذلك. ويرى الآخرون تدويل الموضوع كما تريد امريكا.

واعلنت السعودية انها قبضت على ثلاثة من المخابرات الليبية يريدون قتل الامير عبد الله وسحبت السعودية سفيرها. وطالبت بان تسحب ليبيا سفيرها الذي هو أنا وفعلا انسحبت من السعودية.

بقيت العلاقات مجمدة طوال عام 2005 ثم رجع السفراء. في بداية عام 2006.

وكان السعوديون في الحج يقومون باستضافة رؤساء الوفود. وكبار المسئولين في الدول الاسلامية الذين يقدمون للحج.

في هذه الاثناء جاء الفريق ابو بكر يونس جابر. مع اسرته. ومجموعة من الأسر والضباط لاداء فريضة الحج.

وكان الأمر الصادر لي كسفير عدم قبول ضيافة السعوديين. الذين استقبلوا الرجل ومن معه في المطار. يعرضون عليه الضيافة واعتذرت لهم لانه يريد ان يحج على حسابه وقبلوا العذر. وكان خجولا من الموقف.

وفي هذه المرحلة. بقيت بجوار الرجل طيلة فترة الحج. واكتشفت بحرا من العلوم والثقافة والتاريخ.

وكنا كما هي العادة نحضر علماء مسلمين يرشدون الحجاج. وكان ابو بكر يناظرهم ويتغلب عليهم. ويصحح لهم اخطاءهم.

لم أكن اعرف هذا عنه. وتبين لي انه يملك مكتبة قوامها 40,000 اربعين الف كتاب قرأ اغلبها. واستوعبه.

لقد قام المتمردون بحرق مكتبته. وهي خسارة لليبيا. وللمثقفين.

وكان الرجل كريما واسع المعرفة. يروى عنه أنه خرج من مكتبه في الجفره. فوجد شخصا ينتظره فقال له. انني رب اسرة ولا أملك سيارة. فاعطاه ابو بكر سيارته. ورجع للمكتب يطلب سائقا لايصاله إلى منزله.

وعندما انشأ الدكتور صالح ابراهيم اكاديمية العلوم في منطقة جنزور. قال لي ان الفريق ابو بكر تبرع للأكاديمية بـ 10,000 عشرة الاف كتاب من مكتبته الخاصة.

لقد نشأت بيني وبين الرجل صداقة وتقدير بعد رحلته للحج هذه.

وأكبر فيه ثقافته. وعلمه. ومعرفته وبعد رجوعه من الحج. استضافني في بيته ووجدت على مائدته مجموعة من الضباط الاحرار. ومجموعة من الادباء والشعراء. والفنانيين. والمسرحيين من مختلف البلاد العربية.

فهو على دراية بكل ما يصدر في بلاد العرب من افلام. واغاني. ومسرحيات. الى جانب ما تصدره دور النشر من كتب ادبية. وتاريخية. وعسكرية. وسياسية انه موسوعة من العلوم.

كما بحث عني كثيرا حتى احضرني عندما عقد لزواج أحد ابنائه.

وعندما نسج الغرب خيوط مؤامرته عام 2011. وهاجم الوطن. واقترح البعض عودة مجلس قيادة الثورة. وتنحية العقيد معمر القذافي.

واستقر رأي مجلس قيادة الثورة ان يقوده ابو بكر يونس جابر. الذي قام خطيبا في الضباط والجنود محرضا إياهم على الجهاد من أجل الوطن. قائلا لهم (إن معمر القذافي هو خط أحمر) .

وعندما ضاقت السبل بالليبيين. وهاجم الناتو ليبيا 2011. وتساقط المتساقطون. وخذل الوطن من خذل.

اتصل العقيد القذافي بمن اتصل. يطلب تمكين الفريق ابو بكر يونس جابر

واسرته من الهجرة إلى تشاد. وقد وافق الرئيس التشادي ادريس دبي على استقباله.

ولما أبلغ ابو بكر بالاقتراح. رفض الموضوع. ورفض ترك الوطن. ورفض ترك أخيه في المعمعة.

حزم امتعته. واسرته. قائلا:

(سأذهب إلى سرت لاموت مع رفيق دربي) ووصل إلى حيث يقيم العقيد القذافي بسرت وصواريخ الناتو تمطره من طائراته. وبوارجه.

وقد منعت الجزائر دخول ابنه يونس إليها رفقة أمه. فرجع إلى والده ورافقه إلى سرت.

استمر الحصار لأكثر من شهرين كاملين ولم يبق بسرت حجرا على حجرا.

وضاق الخناق على القذافي ورفاقه. ولم يخنعوا. ولم يستسلموا. ولم يضعف ايمانهم.

وكان ابو بكر. يتصل بالجنود. ويبلغهم سلام أخيهم معمر. ويطلب منهم الرجوع لاسرهم والحفاظ على اولادهم. فالقوة غير متكافئة إلا ان الكثير من المخلصين منهم رفضوا الانسحاب. وواصلوا القتال ذودا عن وطنهم. وعن قيادتهم.

واستشهد ابو بكر إلى جوار رفيق دربه موصيا بدفنه إلى جواره.

وهكذا يكون الوفاء. وهكذا يكون الاخلاص. وهكذا تكون الوطنية الصادقة.

ان ابا بكر يونس جابر. الرجل الطيب دمث الاخلاق. لين المعشر. والذي لم يسئ لاحد. والمحبوب من الجميع. والذي يثنى عليه كل من عاشره. او التقى به. او احتاج اليه.

وقف مع منطقته الكفره. ومع قبيلته المجابره. ودعمها. وانشأ بها المشاريع الزراعية. قيل له ان هناك مجموعة منهم بدون عمل. فأخذ معه المهندس شكري غانم وكان أمينا للنفط.

ووصل إلى المنطقة. وقدموا له قائمة باسماء المحتاجين للعمل. فاذا بها تحتوي ألف شخص. فطلب من شكري غانم توظيفهم جميعا في قطاع النفط.

وفي احداث 2011. ومؤامرة الغرب على ليبيا وقف مجموعة من قبيلة المجابره يتبرأون منه ويرفضون استقبال جثمانه لدفنه بما يليق بالعظماء امثاله.

بل ان بعضهم وضع لافتة كبيرة على مدخل جالو كتب عليها (ابو بكر يونس جابر عبد العبيد)

ابو بكر الذي ساعدهم. وأقام المشاريع لهم وغمرهم بالكهرباء لمسافات بعيدة تروى مزارعهم وشغل اولادهم. وارسلهم في الدورات الدراسية وارسل شيوخهم وزوجاتهم للحج. ويدعم المحتاجين منهم. يكافئونه بمثل هذا الجحود والنكران.

قاتل الله الخيانة. وعدم الوفاء.

وسيندم الكثيرون على تفريطهم في ابطال ليبيا الذين قاوموا الناتو ثمانية أشهر ونصف لم يكلوا. ولم يملوا. ولم يلينوا. ولم يهادنوا. ولم يستسلموا. ولم يتخاذلوا. تحية لهم. وليفخر احفادهم بجهاد هؤلاء المغاوير. الذين سيبقون غرة في جبين التاريخ الليبي. وسيأتي اليوم الذي تشاد لهم فيه النصب التذكارية. وتصبح قبورهم مزارا لطلبة التاريخ وأجيال ليبيا القادمة.

وقبل ان انهي هذه المقدمة اقدم جزيل الشكر لكل من الفريق خليفة مصباح. والفريق عبد السلام بوقيلة. والفريق محمد العياط. واللواء ميلاد الفقهي. والأخ يونس المهدي. والعميد على الشكوي الرجل الذي يرمز للوفاء والوطنية وإلى الابناء يونس. وأسامه. ابناء الفريق ابو بكر يونس جابر. الذين جميعا كانت معلوماتهم مصدرا لهذا الكتاب. وللشيخ محمد مصباح جويلى المجبرى فلهم مني الشكر والتقدير. وللفريق ابو بكر وزملائه الرحمة والغفران.

د. محمد سعيد القشاط

القاهرة ٥ أكتوبر ٢٠١٥